



الرئيس باراك أوباما حين أصبح رئيساً للولايات المتحدة في كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٨، أدرك أنه حمل ترکه ثقيلة من سلفه جورج دبليو بوش، على المستوى الاقتصادي وعلى مستوى سمعة أميركا، وكان تقديره أن استسهال التدخل العسكري المباشر كما في العراق وأفغانستان أمر خاطئ، حتى لو كان الهدف نشر قيم أميركا الديموقراطية أو القضاء على الإرهاب. ولهذا سعى إلى سحب جنوده من أفغانستان والعراق وإغلاق سجن «غوانتنامو»، هذه كانت الأهداف، سواء أنجح فيها أم تعثر، تبعاً لتطورات غير متوقعة على الأرض، على جانب آخر حاول مخاطبة العالم الإسلامي، عبر خطاب مسجل للشعب الإيراني ثم مخاطبة الشعب التركي في نيسان (أبريل) ٢٠٠٩، تلته مخاطبة الشعب المصري في حزيران (يونيو) ٢٠٠٩ من جامعة القاهرة.

أوباما أيضاً لا يفعل الكثير ليغير الواقع، هذا على مستوى الفعل والفعل العسكري تحديداً، ويعيد الاستثناء الوحيد لليبيا التي تدخل بها عسكرياً، ولكنه أيضاً رفض التدخل منفرداً، واشترط التدخل المشترك عن طريق «الناتو»، وكان تدخلاً يسقط القذافي ويقف عند هذه النقطة؛ لأن الإدارة الأمريكية افتقدت الرؤية والإرادة على حد سواء، كما أن المناطق المضطربة أسهل للتعامل معها عن بعد.

هذه السياسة التي عَبَرَ عنها أوباما بوضوح، كانت محل متابعة من بوتين بدقة، سواء أحين كان رئيساً للوزراء أم حين عاد رئيساً للجمهورية، بل إن أوباما قام بمقارنة مباشرة مع روسيا، محاولاً فتح صفحة جديدة في العلاقات، وكان يستخدم أكثر العبارات لطفاً في حديثه مع الرئيس ميدفيديف، بل حاول إزالة كسر الحاجز الرسمية، وتناول وجبة برج راجه معه أمام الكاميرات.

روسيا بوتين جربت أن ترى المدى الذي يمكن أن تذهب إليه أميركا، أو حتى شركاؤها الغربيون مرة في جورجيا وأخرى في أوكرانيا، وكانت ردات الفعل في أقصاها تمثل بعض الضغط الاقتصادي على روسيا، وهو ما لن يردع روسيا مما تراه منها الإقليمي، أو حتى ما تراه فراغاً يسمح لها بالتمدد كما هو حاصل في سوريا اليوم.

التدخل الروسي في سوريا اليوم اعتبره بعضهم مقدمة لحرب عالمية ثالثة، وأن سوريا ستكون ساحة لحرب روسية-أمريكية، وهذا أمر غير صحيح على الإطلاق، فالولايات المتحدة لن تتحرك لردع روسيا من التقدم في سوريا وحتى في العراق، وهذا عطفاً على سياسات أوباما كما ذكرنا، كما أن روسيا لا تنوى إيداء إسرائيل، بل هي تنسق معها العمليات منذ اليوم الأول.

صحيح أن إعلان بغداد وصول الخبراء الروس إلى العراق، كان أمراً مؤلماً للسياسيين الأميركيين، والذي مثل تأكيداً آخر على أن حلفاء أميركا غير واثقين بها تماماً، أو لنقل أن حليفاً آخر لم يعد مضمون الولاء؛ لأن الجميع يتشكك في أوباما، وهذه الحادثة تكررت بين أميركا وال العراق، حين رفض البرلمان العراقي بقاء القوات الأمريكية مع منحها حصانة من الملاحقة القانونية.

روسيا حاولت أن تقدم كل المسوغات المنطقية في تصريحات مسؤوليها، من حرصها على التصدي لتنظيم داعش والقضاء على الإرهاب، إلى تضخيم عدد العناصر الروسية في هذا التنظيم، وكذلك تأكيدتها على أن حربها ضد الإرهاب في سوريا خير من حرب الإرهاب على أراضيها، ولكن الغرب، وتحديداً أميركا، يعتقدون أن الروس كانوا بون والعكس صحيح.

لهذا تهدف روسيا إلى عمليات في المدى المنظور، من ثلاثة إلى أربعة أشهر تسمح بتعديل الوضع قليلاً على الأرض، كما صرحت بذلك رئيس لجنة العلاقات الخارجية في البرلمان السوري، وأعني إنقاذ نظام الأسد وليس بشار الأسد من السقوط، ولا مانع من تحقيق أهداف جيوسياسية لروسيا، مع تحميم الفاتورة لطهران، التي تدرك أن خسارة سوريا تعني انتهاء حلم الإمبراطورية.

إذن التحرك الروسي يهدف إلى تغيير سريع على واقع الأرض، لتكون روسيا أو الجالسين على طاولة تقرير مستقبل سوريا، روسيا تحاول صنع موازنة صعبة عبر تحركها العسكري، مع الحرص على عدم إغضاب السعودية وبقية الدول العربية، وأوباما يستمر في امتحان السلبية عبر وعيه روسيا بأن سوريا ستكون مستنقعاً لها.

أميركا لن تتحرك أكثر من دعم بالسلاح والتدريب لبعض الفصائل المعارضة، حتى لا تكون الحياة سهلة للروس في سوريا، عسى أن يؤدي هذا الاستنزاف مع انخفاض سعر النفط إلى انكماس روسيا عنوة، روسيا كما صرحت لن تسمح بتكرار مصير صدام والقذافي لبشار الأسد، وهو ما معناه أنها لن تخدع للمرة الثالثة، خصوصاً أن الخدعة الثالثة تعني خروجها النهائي من المنطقة.

المصادر: